مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 4، العدد 1، 2007، ص ص 1- 24

استخدام نظرية (تعدديّة) النظام الأدبيّ في دراسة التثاقف: النموذج العربي

أحلام صبيحات *

ملخص

منذ الرّبع الأول للقرن العشرين والغرب يشهد حركة تأسيس العديد من النّظريات التي خدمت العلماء والباحثين في مجال الترجمة، إلا أنّه لم يصل إلى أيدينا كباحثين عرب كل ذلك الإنتاج التنظيري الذي عرفته مراكز البحوث والجامعات ومؤسسات البحث في أمريكا وأوروبا. تلاها بعد ذلك تطورٌ في بعض الدراسات التي تهتمّ بوظيفيّة اللغة داخل الثقافات إلا أنّها لم تحرز -على المستوى العالمي والعربي- ذلك الرّضا بالتخصص في التعدديّة اللغويّة ووظائفها داخل المجتمعات. أما الباحث العربي في حقول الترجمة فما زال يبتعد في دراساته عن الترجمة وقوّتها الثقافية وسيلةً للاتصال على أرضٍ متعددة اللغات، وهو ما قد يساهم في نقلةٍ نوعيةٍ في مجالات البحث والتنظير في العالم العربي. لذا فإننا نجد أسباباً تدفعنا لإنجاز بحثٍ يُعيد لبعض نظريات الترجمة ذلك الاعتبار الذي تستحقه، كما يلبّي حاجةً بين باحثينا إلى التعرّف على المزيد من النظريات للتعامل معها في مجال البحث العلمي، عاملين في الوقت نفسه على تطويرها ليتناسب والسياق العربي الذي غاب عنه طوال القرن الماضي وبدايات القرن الحالي. ويطمح البحث كذلك إلى تأسيس مدخلٍ في الأدب العربي وفي مجال الترجمة يضع بين يديّ الباحثين في العلوم الإنسانية نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ من جانب، وربطها بنظريات التثاقف في مجال الأدب، من جانبٍ آخر.

ويضّطلع هذا العمل بتقديم نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ ونظريات التثاقف واصفاً مفاهيم وتراكيب كلاً منهما ضمن الدراسات الأدبيّة والوظيفيّة، ثمّ يقوم على تطوير علاقةٍ بين هاتين النظريتين لتقديم رؤيةٍ أدبيةٍ جديدةٍ مقارِنة وناقدة في محاولةٍ لإخضاع نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ التي وُلدت في فترةٍ زمنيةٍ متأخرةٍ عن دراسات التثاقف لربطها في مجالات البحث في هذه الأخيرة، مبينين ضعف الاهتمام بهاتين النظريتين داخل الحوارات الثقافيّة البينيّة.

كما تهدف هذه الدراسة إلى إضافة قوانين لدراسة التثاقف ضمن السياق والنموذج العربيين، وإبراز نماذج تطبيقيّة على مجتمعاتٍ عربيةٍ نموذجاً للنتائج والأهداف، وهو توجهٌ علميّ يشجّع على حركة مواجهة الترجمة مع الدراسات المقارِنة بعد أن كانت دراسة الترجمة نشاطاً هامشياً متنحياً في الدراسات الأدبيّة أعقبها حركة توسّعٍ في دراستها لتصبح وسيلةً لدراسة الظواهر الأدبيّة ووسيلةً في بحوث نقل الثقافة. ونودّ

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية 2007

* قسم الترجمة، جامعة الإسراء الخاصة، عمان، الأردن.

التأكيد في تقديمنا لهذا البحث على أنّنا لسنا بصدد وضع قوانين عامةٍ جديدةٍ للتداخل الأدبيّ بل بصدد توجيهها، ذلك أن الأدب المقارن أخذ على عاتقه الاهتمام بوضع هذه القوانين منذ نشأته. كما نودّ الإشارة إلى أنّ دراسة هذه النظرية لا يمكن حصرها ضمن بحوث الترجمة فقط، فهي نظرياتٌ جديرةٌ بالاهتمام داخل نطاق الدراسات البينيّة Interdisciplinary لأنّها تُعدّ ظاهرةً تتقاطع في دراستها وتطبيقها حقولٌ معرفيّةٌ عديدة، فمنها على سبيل المثال لا الحصر: الترجمة، اللغويات العامة، الأدب المقارن، النّقد الأدبيّ، الدّراسات الاجتماعيّة، دراسات الإنسان، دراسات الثّقافة ... الخ.

المقدمة

إذا كان التنظير في مجال الترجمة هو الأقل دراسةً في العالم كما يقول المنظّر البلجيكي José Lambert، فهو في العالم العربي ما زال يتحسّس الخطى ليصل إلى المستوى التطبيقي قبل أن يطمح إلى بلوغ درجة التنظير. وحين نتحدث عن مراجع للبحث في نظريات التثاقف، فإننا نتكلم عن مخزونٍ هائلٍ من الأبحاث العلمية الغربية في متناول إيّ قارئٍ يتردّد على مكتبات الغرب، بينما نجد أنّنا ما زلنا حتى هذا البحث نتعثّر في الحصول على هذه المراجع في مكتباتنا العربية سواءً في اللغة العربية أو في اللّغات العالمية الأخرى. فمنذ الرّبع الأول للقرن العشرين والغرب يشهد حركة تأسيس العديد من النّظريات التي خدمت العلماء والباحثين في مجال الترجمة، إلا أنّه لم يصل إلى أيدينا كباحثين عرب كل ذلك الإنتاج التنظيري الذي عرفته مراكز البحوث والجامعات ومؤسسات البحث في أمريكا وأوروبا، إلا بعض دراسات أكبر المنظرين في حقل الترجمة من أمثال Eugene-Nida, Peter Newmark, Bassnet, Lefevere, Holms, Hermans, Gentzeler . تلاها بعد ذلك تطورٌ في بعض الدراسات التي تهتمّ بوظيفيّة اللغة داخل الثقافات إلا أنّها لم تحرز -على المستوى العالمي[1] والعربي- ذلك الرّضا بالتخصص في التعدديّة اللغويّة ووظائفها داخل المجتمعات. أما الباحث العربي في حقول الترجمة فما زال يبتعد في دراساته عن الترجمة وقوّتها الثقافية وسيلةً للاتصال على أرضٍ متعددة اللغات، وهو ما قد يساهم في نقلةٍ نوعيةٍ في مجالات البحث والتنظير في العالم العربي. لذا فإننا نجد أسباباً تدفعنا لإنجاز بحثٍ يُعيد لبعض نظريات الترجمة ذلك الاعتبار الذي تستحقه، كما يلبّي حاجةً بين باحثينا إلى التعرّف على المزيد من النظريات للتعامل معها في مجال البحث العلمي، عاملين في الوقت نفسه على تطويرها ليتناسب والسياق العربي الذي غاب عنه طوال القرن الماضي وبدايات القرن الحالي. ويطمح البحث كذلك إلى تأسيس مدخلٍ في الأدب العربي وفي مجال الترجمة يضع بين يديّ الباحثين في العلوم الإنسانية نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ من جانب، وربطها بنظريات التثاقف في مجال الأدب، من جانبٍ آخر.

ويضّطلع هذا العمل بتقديم نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ ونظريات التثاقف واصفاً مفاهيم وتراكيب كلاً منهما ضمن الدراسات الأدبيّة والوظيفيّة، ثمّ يقوم على تطوير علاقةٍ بين هاتين

النظريتين لتقديم رؤيةٍ أدبيةٍ جديدةٍ مقارِنة وناقدة في محاولةٍ لإخضاع نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ التي وُلدت في فترةٍ زمنيةٍ متأخرةٍ عن دراسات التثاقف لربطها في مجالات البحث في هذه الأخيرة، مبينين ضعف الاهتمام بهاتين النظريتين داخل الحوارات الثقافيّة البينيّة.

كما ستهدف هذه الدراسة إلى إضافة قوانين لدراسة التثاقف ضمن السياق والنموذج العربيين، وإبراز نماذج تطبيقيّة على مجتمعاتٍ عربيةٍ نموذجاً للنتائج والأهداف، وهو توجهٌ علميّ يشجّع على حركة مواجهة الترجمة مع الدراسات المقارِنة بعد أن كانت دراسة الترجمة نشاطاً هامشياً متنحياً في الدراسات الأدبيّة أعقبها حركة توسّعٍ في دراستها لتصبح وسيلةً لدراسة الظواهر الأدبيّة ووسيلةً في بحوث نقل الثقافة. ونودّ التأكيد في تقديمنا لهذا البحث على أنّنا لسنا بصدد وضع قوانين عامةٍ جديدةٍ للتداخل الأدبيّ بل بصدد توجيهها، ذلك أن الأدب المقارن أخذ على عاتقه الاهتمام بوضع هذه القوانين منذ نشأته. كما نودّ الإشارة إلى أنّ دراسة هذه النظرية لا يمكن حصرها ضمن بحوث الترجمة فقط، فهي نظرياتٌ جديرةٌ بالاهتمام داخل نطاق الدراسات البينيّة Interdisciplinary لأنّها تُعدّ ظاهرةً تتقاطع في دراستها وتطبيقها حقولُ معرفيّةٌ عديدة، فمنها على سبيل المثال لا الحصر: الترجمة، اللغويات العامة، الأدب المقارن، النّقد الأدبيّ، الدّراسات الاجتماعيّة، دراسات الإنسان، دراسات الثّقافة ... الخ.

نظرية (تعددية) النظام الأدبي Theory of (Poly)system

نشأتها وتطورها[2]

تعود أصول دراسة نظريّة (تعددية) النظام الأدبيّ إلى المدرسة الوظيفيّة التي تمّ تطويرها ضمن الدّراسات الأدبيّة في سنوات السبعينيات. وفي منظور العديد من الباحثين الذين انطلقوا في دراساتهم من النظريات التي سادت في تلك الحقبة فإن نظريّة (تعددية) النظام الأدبيّ التي طوّرها لاحقاً كل من الإسرائيليين Itamar Even-Zohar[3] (1978-1990) وتلميذه Gideon Toury (1980-1995)، تتزامن في الظهور مع نظريات المدرسة الوظيفيّة في الأدب. ولم يكن استخدام نظريات الأدب في ذلك الوقت شائعاً إذ شهدت الفترة صراعاتٍ بين النظرية والتاريخ الذي طُرح كإشكاليةٍ أساسيةٍ في هذا الحقل. كما شهدت الحقبة تضخّماً في حركة التنظير ركّز معظمها على التّطور اللغويّ أساساً للبحث، مقدماً نماذج تنظيريّة ترتكز معظمها على دراسة النصوص أكثر من ارتكازها على دراسة الظاهرة الأدبية بحدّ ذاتها، وقد كانت هذه سائدة على الأقل في أوروبا الغربية وفي تلك الدّول التي طُوّرت أبحاثها بناءً على نظريات الموروث الغرب- أوروبي.

وفي خضمّ البحث عن نماذج مهمةٍ تلبّي حاجة الدارسين بعيداً عن تلك النماذج التنظيرية التي انتشرت في تلك الحقبة، ظهرت إلى الوجود النظريّة التاريخية الألمانية ل Hans Robert Jauss و Wolgang Iser التي لم تكن مألوفةً في دراسات الأدب. ومنذ ذلك التاريخ ولسنواتٍ

عديدةٍ لاحقة انحصرت المناقشات في القارّة الأوروبيّة للحديث عن أعمال René Wellek وRoman Jakobson وعن النظريّات التي طرحها Tzvetan Todorov في البحث الذي قدّمه في موضوع النظريّة الأدبيّة، والذي عالج في مضمونها النظريّة التاريخيّة التي اجتاحت الحركة التنظيرية في ذلك الوقت. وقد أقرّ Even-Zohar بتأثّره بأعمال Tynjanov (1924-1971) وJakobson (1896-1982) مقدماً رؤيةً جديدةً مصغّرةً وتاريخيّةً ضمن نظرياته، أوضح فيها أن مفاهيمه تعود في تأسيسها إلى المدرسة الشكليّة الروسيّة، وأكدّ على اتفاقها مع النظريّات التاريخيّة والجماليّة ومع غيرها من النظريّات التي وُلدت مع حركة التنظير اللغويّة ما بعد السوسورية التي تبنى أبحاثها على دراسة "الأنظمة"، بل وقام أيضاً بتوظيفها فرضياتٍ جديدة في بحوث اللغويّات الاجتماعيّة والسميوتية (دراسة الإشارات)، واستعاد بعض التوجهات التطبيقيّة في أبحاث علماء السلوكيات، وألحق نظريته بحقل دراسة الإشارات والبحوث الثقافيّة أكثر من ميله إلى إلحاقها ببحوث الدراسات الأدبيّة.

من الجوانب اللافتة للنظر في إطار عمل Even-Zohar هو التّميز في تقديمه لبحثه "موقع الأدب المترجم في النظام الأدبي" (The position of Translated Literature within the literary system)، عام 1976، الذي أبرز اهتمامه بتعقيدات المجتمعات ذات الثقافات المتغايرة واللغات المتعددة، وهو ما يفسر منذ بدء ظهور نظرية (تعددية) النظام الأدبي لماذا برز Even-Zohar مؤسساً لنظرية أكثر منه باحثاً في نظرياتٍ سابقة الوجود. كما نودّ الإشارة إلى أنّ أوّل تطبيق عمليّ تمّ نشره لنظرية (تعددية) النظام الأدبيّ في الأدب لم يصدر عن Even-Zohar نفسه بل عن أحد تلامذته وهو Gideon Toury عام 1974، في نفس الوقت الذي عُولجت فيه هذه النظرية في العديد من مشاريع البحث الجماعيّة إما بصورةٍ جزئيةٍ وعفويةٍ أو بصورةٍ جزئيةٍ ومنظمة.

إن العديد من الصيغ الظاهرة في نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ منها تلك التي وضعها Even-Zohar شخصياً أو تلك التي كانت نتاجاً لنشاطاتٍ دوليّةٍ ومؤسسيّةٍ تنقّلت في تطبيقاتها بين الأدب وبين أنظمة دراسة الرموز الإشاريّة، ممّا سمح لها أن تلحق خلال عشر سنواتٍ ببرامج دراسات الأدب الدوليّ، التي اعترفت بدورها بـ Even-Zohar كمنظّر في حقول الآداب.

مفهوم نظرية (تعددية) النظام الأدبي

قبل الخوض في نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ تجب الإشارة إلى أنّ Even-Zohar قدّم أطروحةً للحصول على درجة الدكتوراه في الترجمة الأدبية عام 1971، ومن هنا وُلد هاجسه في دراسة الظواهر الأدبية في مجالي اللغة والترجمة واضعاً تلك الفروق والاختلافات التي تولّدها عملية الترجمة بين لغتين أو ثقافتين أساساً ينطلق منه في اكتشاف الآليّات الثقافية، معارضاً في

الوقت نفسه المؤسسات الأكاديمية الأخرى المختصة بدراسة الأدب أو الشعوب أو الدراسات اللاهوتية.

إنّ الأهداف الأساسية التي وجّه Even-Zohar نظريته من خلالها تبرز في أيجاد نماذج ثقافيةٍ هامةٍ، من جانب، في حين يثير التساؤلات، من جانبٍ آخر، حول إمكانيّة بروز اكتشافاتٍ جديدة مبنيّة على أساس أحد التخصصات، سواءً كان ذلك من خلال التعامل مع لغةٍ أو مع اتّصالٍ شفويّ، أو مع نماذج ثقافيّة، وهو بذلك يبحث عن "قوانين" أو "قواعد شموليةٍ" تتعلق بالاتصال أو بالسلوك الثقافيّ العالميّ، وهذا ما نسعى إليه في تطوير هذا البحث الذي يهدف إلى الخروج بهذه القوانين إلى مفارق الطرق التي تلتقي فبها نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ مع نظريات التثاقف أو التبادل الثقافي ضمن النموذج العربي.

أما المبادئ التي أسّس Even-Zohar نظريته عليها فتقوم على أنّ ما كان يملكه الكتّاب والنقّاد في أذهانهم هو حركة التّطور والترقية في الأدب، لذا يرى أنّ من الواجب على الباحثين عدم الخلط بين هذه الأنشطة وبين البحث العلمي، كما يبتعد في نظريته عن النّشاطات الأدبيّة التي تقوم على تراكم المعلومات من كتبٍ ونصوصٍ وأسماءٍ وأدبٍ قومي... الخ، ساعياً إلى ملاحظة وتحليل الظواهر الأدبيّة بهدف إبراز المبادئ الأساسية من معايير، ونماذج، وطبيعةٍ أوّليةٍ أو ثانويّة، وموقعٍ مركزي أو محيطي لحركة العناصر داخل النظام.

ويتكون المصطلح اللغويّ لهذه الكلمة من البادئة اللاتينية poly التي تعني تعدديّة ومن الكلمة ذات الأصل الإغريقي system والتي تعني نظام، وهو في هذه الحالة يعبّر عن الثّقافة التي تتعايش فيها أنظمةٌ لغويةٌ وأدبيةٌ مختلفة بطريقةٍ تتداخل فيها اللغات والآداب والثقافات. وتعالج النظرية بنيةً مفتوحةً متعددةً ومتغايرةً تربط بينها شبكةٌ متنوعةٌ من العلاقات، وتدرس الظواهر الأدبيّة التي قد تمتلك أكثر من موقعٍ في النظام الأدبّي، ثمّ تدرس حركتها داخل هذا النظام لتكوّن ملاحظاتٍ حول حركة انتقالها من المركز إلى المحيط ومن المحيط إلى المركز، أو من محيط نظامٍ إلى محيط نظامٍ آخر. ومن خلال نظرية (تعددية) النظام الأدبّي يُفهم الأدب على أنّه نظامٌ اجتماعيّ ثقافيّ وظاهرةٌ ذات طابعٍ اتصاليّ يتمّ تعريفه من خلال العلاقات المبنيّة داخل شبكةٍ بينيةٍ من العوامل، ويكون دور كل عنصرٍ محدداً بالعلاقة التي تُعرّفه مقابل كل عنصرٍ آخر، وذلك سعياً منها إلى تفسير كيف تعمل النصوص في المجتمع في حالات حقيقيةٍ ومحددة.

ولتقريب هذه العملية نقدّم مثالاً على ذلك المؤلفات الكلاسيكيّة في اللغة العربية التي نقلها المستشرقون عبر حركة الترجمة إلى لغاتهم في القرون الوسطى، إذ نرى أنّ هذه الظاهرة قد عادت لتبرز إلى الوجود في عهد الانتداب الفرنسي والإنجليزي في الشرق الأوسط في أواخر القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين لتحتلّ موقعاً مركزيّاً في حركة الترجمة من العربية

إلى الفرنسية[4] والإنجليزية، وقد يتحرك كذلك عنصرٌ (نص مترجم) من محيط نظامٍ إلى محيط نظامٍ مجاور كما هي الحال في الآداب الإغريقية والفارسية والهندية التي تمّ ترجمتها لتدخل النظام الأدبيّ العربيّ، ومن هناك انتقلت لتحتل من جديد موقعاً مركزياً في النظام الأدبيّ الفرنسي والإنجليزي بعد ترجمتها إلى اللغات الأوروبيّة في نفس الحقبة الزمنية. ولتوضيح حركة هذا النموذج في عهد الانتداب مقارنةً مع العصور الوسطى، ارتأينا أن نقدّم رسماً يوضح طبيعة هذه الحركة:

حركة الترجمة في العصور الوسطى

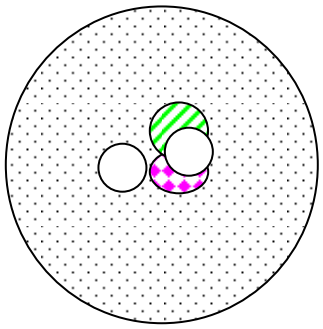

في الشرق الأوسط في عهد الانتداب

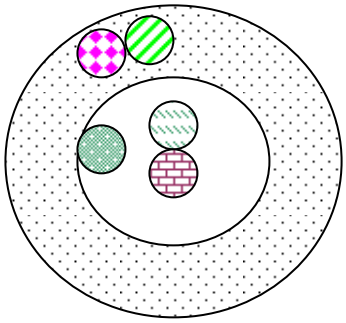

الكتب المترجمة من الإغريقية
الكتب المترجمة من الفارسية
الكتب المؤلفة بالعربية
الكتب العربية المسيحية
الكتب العربية الكلاسيكية
كتب عصر النهضة

نلاحظ في الرسم السابق أن النظام اللاتيني الأوروبي (على اليمين) قد شهد حركةً مركزيةً لترجمة النصوص الإغريقية والفارسية والعربية في العصور الوسطى على أيدي مترجمي أوروبا الذين نقلوا كنوز المعرفة الكبرى من النظام العربي إلى اللغات الأوروبية السائدة في ذلك الوقت وخاصةً اللاتينية، في حين أنّ النظامين الفرنسي والإنجليزي (على اليسار) قد نقلا الترجمات الفارسية المترجمة على أيدي العرب إلى الفرنسية والإنجليزية، إلا أنّهما لم يولياها تلك الأهمية التي نراها في ترجمة النصوص العربية القديمة (الكلاسيكية) ونصوص عهد النهضة العربية.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الترجمات تدخل النّظام الجديد بعد أن تتحوّل إلى عناصر مقنّنةٍ ومشرّعة[5]، لأنّه وفي حالة الأدب، فإنّ العناصر غير المقنّنة تخضع لقوانين الاستبعاد التي ترسمها لها المؤسسة التي تسيطر على عملية الترجمة أو التأليف والنشر في الثقافة المستقبِلة لتشغل بعد ذلك موقعاً محيطياً. وعلى الرّغم من اتساع دراسة نماذج الأنظمة في العالم على

أيدي منظّري الأدب واللغويات[6] إلا أنّ ما يهمنا في هذه الدراسة هو التنظير في قوانين نظامٍ محدد تصف طبيعة حركة العناصر المنتخَبة وسلوكها، فمن المؤكّد أنّ عملية إنتاج نصٍ لا يوازي عملية الإنتاج في أيّ مجالٍ آخر، وحتى يتمّ تحديد هذه النشاطات والسلوكيات لا بدّ من دراسة القوانين الشموليّة التي تحكم عملية الانتخاب والإنتاج في الترجمة لتكوين ملاحظاتٍ حول التغيير الذي يطرأ على أهمية انتخاب عناصر للترجمة واستبعاد عناصر أخرى كانت في السابق أكثر أهميةً، وذلك حتى نصل إلى فهم الآلية التي أدّت إلى تكوين صورةٍ في خيال القارئ حول شعبٍ بعينه، أو لنفهم سلوك شعبٍ تجاه شعبٍ آخر. وحتى يتم فهم الكيفية التي تحركت بها هذه العناصر داخل النظام، لا بدّ للباحث أن يدرس العوامل التي أدّت إلى بروز ظاهرة هذه الحركة وهي العوامل التي تحكم النظام الأدبيّ، والتي اقتبسها Even-Zohar من نظريات الاتصال واللغة الموروثة عن Ramon Jakobson[7]، وقد وضع Even-Zohar مفهوماً موسّعاً لها يتكيف مع دراسات الأدب والترجمة تُظهر لنا مدى فائدتها في دراسة التظاهرات الأدبيّة، مشيرين إلى أنّ ربط العوامل مع بعضها البعض هو السبب في أدائها الوظيفي[8]، وهذه العوامل هي[9]:

- المنتِج Producer: ونعني به هنا الكاتب أو المترجِم، ويُشترط أن لا ينحصر مفهوم المنتِج في المترجم الذي ينقل العناصر إلى الثقافة المستقبِلة، فقد يتجاوز ليكون واحداً من العوامل لاحقة الذكر مثل الناشر أو دار النشر أو المؤسسة أو الهيئة التي ترعى عملية الترجمة. وقد استُخدم هذا المصطلح للتأكيد على الدور الذي تلعبه النشاطات الاجتماعيّة الثقافيّة التي تصف الأدب، ونرى هذه النشاطات منظّمةً تحت نظامٍ يُنتج ويوزع ويستهلك ضمن العملية التسويقية للأدب. وعلى الباحث أن يتوجه في دراسة المنتِج إلى حياته، ودراساته، ومؤلفاته، واهتماماته التي دفعته إلى التوجه لعملية الانتخاب هذه.

- المنتَج Product: وهو النصوص الصادرة عن عملية النشاط الأدبيّ. وترمي نظرية (تعددية) النظام الأدبي إلى إبراز المنتَج الأكثر قوةً في النشاط الأدبيّ والتي تمثّل النماذج الواقعيّة التي تمّ الوصول إليها من خلال تطوير النصوص الأدبيّة ومن خلال الدور الذي يتم لعبه في بناء الواقع وفي بناء معايير السلوك الاجتماعي، وهو ما يربطه الباحث لاحقا في دراسة ما يسمى في فرنسا بدراسة الصورة الأدبية Imagologie، أو ما يسمى في الولايات المتحدة الأمريكية بالدراسات الثقافية Cultural Studies. كما نؤكّد بعد على أنّ نظرية Even-Zohar جاءت لتؤسس لعلاقةٍ وظيفيةٍ مساويةٍ للعوامل المشاركة في النشاطات الأدبية بعد أن بدأت الحركة الأدبية تظهر في دراسات التمركز حول النصوص textocentrism والتي قضت بالتالي على مركزة الدراسات حول الكاتب[10]. ويتوجه الباحث هنا في دراسة إدراك المنتِج للنص، وفهمه له، ونواياه تجاهه، وشروحاته حوله، والتغيرات التي أحدثها فيه.

- المستهلِك Consumer: وتعني في الدراسات الأدبية العامة القارئ محصوراً في نشاط القراءة فقط، إلا أنّ نظرية (تعددية) النظام الأدبي تفهم المستهلِك على أنّه ذلك الفرد الذي يستهلك المنتَج الذي ينتجه المنتِج، وقد يكون العنصر المترجم مكتوباً أو ملفوظاً شفوياً يربط بينه صفةٌ مشتركةٌ إذا أنتجه منتِجٌ واحد، ولذلك فلا بد من وجود اللائحة، والذي يحدد فائدة وقوانين الاستخدام لهذه اللائحة هي المؤسسة، وحتى يمكن نقل المنتَج إلى المستهلك فلا بد من وجود سوق. وأعضاء المجتمع المستقبِل ما هم إلا مستهلكون لنصوصٍ أدبيةٍ، ذلك أنه يصادف في الكثير من الحالات أو في معظمها أن يخزّن الفرد مقطوعاتٍ قصصيةٍ أو أمثالٍ أو شعرٍ أو غيرها، وقد يحصل استهلاك المنتَج من خلال القراءة أو من خلال استملاك النص استملاكاً مادياً أو مرئياً أو سماعياً كما هو الحال في المسرح أو الموسيقى.

- المؤسسة Institution: المؤسسة هي تلك الهيئة التي قد تنتخب المنتَج المترجَم وتحافظ عليه ضمن لائحة من العناصر المنتخبَة داخل ما نسميه هنا بالنشاط الاجتماعيّ الأدبيّ. ومن خلال قوانين إنتاجها فإنها قد تصنع ظواهر لتجدد نوع الإنتاج وكميته، وقد تستبعد في خضمّ هذه العملية عناصر قديمةٍ سائدةٍ في السوق. ويجب أن لا ننسى أنّها تمثّل الجّهة التي تختار وتمول المنتِج وتنفق على المنتَج حتى يصل إلى يدي المستهلك. ويندرج تحت هذه الهيئات: المنتجون، والناقدون، والمؤسسات التعليمية، والناشرون، والمجلات، ووسائط الإعلام، والصالونات والمقاهي الأدبية، حيث تمارس جميعها تأثيراً قوياً ضمن سوق العنصر المستهلك.

- السوق Market: السوق هو الوسط الذي يتم شراء أو بيع المنتَج الأدبيّ المترجَم للمستهلِك من خلاله، ولا يُشترط أن يُحصر في المكتبات أو معارض الكتب، فالنوادي ووسائل البث الإذاعي المسموعة والمرئية والصحف وخشبة المسرح وغيرها من الأسواق الرمزيّة هي بحدّ ذاتها هيئاتٍ تسوّق للمنتَج وتحدّد سعره (أي قيمته).

- اللائحة Repertoire: وتُعرّفها نظرية (تعددية) النظام الأدبي على أنّها مجموعة القوانين والموادّ التي لا غنى عنها في عملية انتخاب واستعمال المنتَج، بينما تُفهم في الأدب على أنّها مجموعة المعايير والعناصر التي يخضع إنتاج النص الأدبيّ وترجمته لها. وفي مفهومٍ تقليدي فإنّ اللائحة هي مجموعة القواعد والمفردات التي تمثّل معطيات لغةٍ ما، وهي التي تتراكم مع المنتِج لتكوّن المنتَج. ومع ازدياد حجم صناعة المنتَج واستخدامه في المجتمع يزداد التعرّف عليه ويزداد الاتفاق على استهلاكه. وقد يُدمج العديد من النماذج في لائحةٍ واحدةٍ في حين أنّها تختلف من عنصرٍ لآخر كما نرى في عهد الانتداب الفرنسي في الشرق الأوسط الذي

اهـتمّ بترجمـة الكتـب الكلاسـيكية وكتـب عـصر النهـضة والكتـب المـسيحيّة، إلا أنّ المعـايير الجماليّة والأدبيّة لكلّ نظامٍ تختلف عن الآخر.

وعلى الباحث أن يعالج هذه المفاهيم أو العوامل بطرقٍ مختلفةٍ ضمن عمله البحثي حسب المعطيات والنتائج. وقد يُلاحظ أن بعض هذه العوامل قد تحلّ محلّ عاملٍ آخر مثل المترجِم الذي قد يصبح مستهلكاً ومنتِجاً معاً وكذلك المؤسسة التي قد تلعب دور المنتِج.

بالإضافة إلى العوامل السابقة يتوجب على الباحث عند دراسة ظواهر الأدب المترجم ضمن اللوائح التي يستخلصها تكوين الملاحظات حول ما يلي:

1. نـوع العلاقـات البينيـة الموجـودة بـين الكتـب المترجمـة والمنتخبـة مـن آداب أخـرى أو حتـى مقتطعة من نصوص بلدها الأصلية.
2. كيفية اختيار هذه النصوص من خلال معايير الأدب أو الثقافة المستقبلين.
3. كيفيـة تكييفهـا مـع المعـايير والـسلوك الأدبـيّ للثقافـة المـستقبِلة، وبمعنـى آخـر، كيـف يـتمّ استخدام اللائحة في النظام الجديد، ولا نعني فقط على المستوى اللغويّ بل وأيضا كيفية إدخالها في النظام.

ما يهمّ في هذه الدراسة لفت الأنظار إلى أنّ ما تركّز عليه نظرية (تعددية) النظام الأدبي ليس الحديث عن ترجمة سلسلةٍ من الأعمال المقنّنة بل تهدف إلى البحث عن شروط الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والمأسسة لظواهر أدبية. ومن المهمّ كذلك أن نضيف ما أشار إليه العالم البلجيكي José Lambert[11]، الذي قدّم الكثير في حقل دراسات نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ: أنّ على الباحث في هذا المجال أن لا يوجه اهتمامه إلى ملاحظة حركة الأنظمة داخل الثقافات ودراسة الكتب المترجمة والتي قُنّنت داخل اللائحة فقط بل يجب أن يولي اهتماماً لتلك الكتب التي لم تهتم الثقافة المستقبِلة بترجمتها. فعلى الباحث – كما يضيف Lambert[12]- أن لا ينحصر في الكتب التي ترجمت كاملةً أو في النصوص التي اهتمّ المترجِم في تقديمها للقارىء، أو بتلك النصوص والكتب المكتوبة أو المترجمة على أيدي المتعارف عليهم من الكتاب والمترجمين، فقد يحدث تأثيرٌ أقوى من خلال تلك النصوص المقتطعة أو الكلمات والتعابير المتفرّقة والتي قد تقوده إلى مظاهر أيدولوجيةٍ خفية.

2. نظرية التثاقف

أدّى التقـدم فـي وسـائل الاتـصال ووسـائل المواصـلات وظهـور الفكـر الإمبريـالي والتقـدم التكنولوجي وارتفاع الهجرة بسبب ضغوطاتٍ ديموغرافيةٍ واقتصاديةٍ وبيئيةٍ وغياب حقوق الإنسان، إلى جعل عملية التثاقف واحدة من أهم مواضيع البحث في علم النفس التي تدرس العلاقات بين

الثقافات. وعلى الرّغم من نشأتها تحت ظلّ دراسات علم النفس إلا أنّها اتّسعت في القرن العشرين لتشمل أنواعاً أخرى من المجالات، نذكر منها: علم الاجتماع، والانثروبولوجيا، والعلوم السياسية، واللغويات، والعلوم الاجتماعية، ودراسات المرأة، ودراسات الثقافة، والأدب المقارن، ونأمل أن يتّسع الاهتمام بها في مجال الترجمة أيضا.

ويجدر بنا أن نبدأ القول أنّ مصطلح التثاقف صيغ في نهايات القرن التاسع عشر على أيدي العديد من علماء الأنثروبولوجيا في شمال أمريكا، وتذكر الكتب أن أوّل ظهورٍ لكلمة تثاقف برزت عام 1880 على يديّ العالم الأنثروبولوجي J.W. Powells من المكتب الأمريكي للدراسات العرقية[13]، إلا أنّ التاريخ يذكر أن G. Stanley Hall كان أوّل عالِم كتب نظريةً في التثاقف. وعلى الرّغم من حداثة أبحاث التثاقف التي اتّسعت دائرتها منذ نهايات القرن التاسع عشر إلا أنّ معظمها يذهب في أصوله إلى نظريات أفلاطون التي تعود إلى عام 348 قبل الميلاد، مؤكّدين في الوقت نفسه على أنّ كثير من العلماء العرب والغربيين استعانوا بمؤلفات أفلاطون وتلامذته في تطوير دراسات على كثير من العلوم الحديثة، وبالتالي يُعدّ أفلاطون الأب الحقيقي لعلم الأنثروبولوجيا وبالتالي لنظريات التثاقف. وتعبّر آراء أفلاطون عن رؤيةٍ سلبيةٍ[14] في معرض حديثه عن هجرة الأفراد إلى أراضٍ جديدةٍ وعن شروطها حيث يعبّر عن هذه الحركة بمفهوم "التلوث الثقافي"، في حين أنّ ما يراه بعضاً من علماء القرن الماضي هو أن المواقف المتبادلة ثقافياً ذات الطابع السلبي ليست شرطاً في عملية التثاقف، ومن ذلك ما صرّح به العالم الأمريكي J.-W. McGee، من المكتب الأمريكي للدّراسات العرقيّة، والذي أكدّ على أنّ التثاقف هي عملية تطورٍ متبادل تتقدم فيها المجتمعات مجتازةً مراحل الرجعية والهمجية لتصل إلى عتبة الحضارة والتنوير[15]، وهي مقدمةٌ قد سبقت عصرها في الإشارة إلى أهميّة دراسات التنمية البشرية في عملية التثاقف، كما أنّها تعبّر عن أحد أهداف و مبررات التوجه الإمبريالي، وهي بلا شك إحدى العوامل التي سنراها لاحقاً في تفعيل الظواهر التي شرّعت التداخل أو التدخل الثقافي وغذّت استمرارية وجوده في العالم العربي.

من أهم العلماء الذين تطرقوا إلى التثاقف الاستعماري عالم النفس البريطاني Frederic Bartlett[16]، الذي نشر العديد من التقارير الأنثروبولوجية التي تُعنى بحركة الاستعمار. ويرى Bartlett من خلالها أنّ الحصيلة الثقافية تعتمد على ميل الدول القوية إلى الهيمنة وفرض الذات وقوة إذعان الثقافة الضعيفة لها، كما تعتمد بشكل أساسي أيضاً على درجة التشابه الثقافي بينهما. وعملية الاستبدال ستحدث –بالنسبة ل Bartlett- إذا تجاوب إذعان الثقافة الضعيفة مع سيطرة الثقافة المهيمنة[17]. إلا أنّنا نتّفق على أنّه ولتحقيق هذه الهيمنة يجب تطبيق خططٍ تنفذها بعض المؤسسات المروّجة للعادات والتقاليد المشتركة أو المرغوب في تسويقها وإدماجها داخل

النظام الثقافيّ الجديد، والعوامل التي نستقرؤها في أعمال Bartlett السابقة الذكر تظهر أنها تتطابق مع إجمالي العوامل التي ذكرها Even-Zohar في دراسته لحركة العناصر داخل الأنظمة.

وكما أنّ للتشابه دوراً في فرض عناصر ثقافةٍ على ثقافةٍ أخرى، فإنّ "التباين الثقافي" بين الأنظمة المتواصلة يُعد أيضاً إحدى الظواهر الأساسيّة لتحرّك العوامل وتطوّرها داخل النظام. ويؤكد José Javier Esparza على تزامن ظهور مفهوم "التباين الثقافي" مع دراسات التثاقف للتعبير عن التأثّر الحتميّ للعقليّة الجماعيّة التي عُدّل نظامها اللغويّ والثقافيّ عبر مجموعةٍ من عوامل التداخل الخارجية، والتي تُحدث تحولًا عبر مجموعةٍ من "العملاء المحركين لهذه الظاهرة" الذين يهدفون إلى استبدال أو إضافة أو إبادة بعض العناصر اللغويّة في الثقافة المهيمن عليها، وقد يحصل في عملية التثاقف أن يتمّ استبدال قيم في الثقافة الضعيفة لتحلّ محلّها قيمٌ مستبدلةٌ من الثقافة الأقوى[18]، وهو وصفٌ يتناسب مع حجم التباين الثقافيّ بين الهيمنة الأمريكية الحالية والثقافة العربية.

وبما أنّ نظريات التثاقف في مجال الإنسانيات تعتمد على أُسسٍ تاريخيةٍ فقد أُتيح لها الفرصة لتأسيسٍ تاريخيٍ للأدب ولتصنيفاتٍ علميّةٍ متعدّدة، ارتأينا أن نوجّه فيها جهود هذا البحث إلى التصنيفات الأدبيّة للحركة الأدبيّة الإمبريالية المباشرة وغير المباشرة لأهميتها في الدراسات اللغويّة والدراسات الأدبية ولتواصلها عبر هذه الحقبة مع دراسات (تعددية) النظام الأدبي.

ولنا أن نرى مدى قبول النظام العربي لحركة الدمج اللغويّ إذا أتينا في الصفحات اللاحقة على دراسة تطوّر مفهوم التثاقف في المفهوم العربي وكيفية ربط نظرية (تعددية) النظام الأدبي في خدمة دراسة النقل الثقافي لها.

1.2. تثاقف "التثاقف"

إنّ مصطلح التثاقف في العالم ما زال في تطوّر حتى أنّ العديد من الباحثين ذكروه تحت عدّة مسميات، مثل ذلك الظهور الحديث لمصطلحاتٍ تعبّر عن هويةٍ جديدةٍ نتيجة التباين والتعدديّة في الأنظمة الثقافيّة المتصلة التي يعيشها الفرد. وقد سُمي التمازج العربي الأوروبي الاقتصادي في كتاب المؤرخة Bat Ye'or[19] بـ **Eurabia** والتي عرّفته على أنّه: " أربعة عقودٍ من العلاقات السياسية الاقتصادية بين أوروبا ودول الشرق الأوسط العربية، والذي تمأسس في الحوار السنوي الأورو- عربي حيث ولد فيه لغماً عدوانياً ساماً يُدعى Eurabia".

وعلى الرّغم من أنّنا لسنا هنا بصدد دراسة كل مسميات **"التثاقف"** في العالم العربي لكثرتها ولتباين أسباب نشأتها ومفاهيمها، والتي لن يتّسع المجال للحديث عنها في هذا العمل المحدود، إلا أنّه لا بدّ من الإشارة لبعض هذه المسميات لنبيّن هنا أنّ الاستعمال اللغويّ العربيّ

قد أظهر تنوعاً في الميل إلى إطلاق عدة مصطلحات تحمل بين طيّاتها مفاهيم عامةٍ منتخبةٍ وغير منتخبةٍ، فرديةٍ أو جماعيةٍ، ومن هذه المسميات نذكر: **التثاقف، الاندماج الثقافي، النقل الثقافي، الانفتاح الثقافي، البدائل الثقافية، التبادل الثقافي، التحول الثقافي، التنوع الثقافي والغزو الثقافي**. وقد تحمل المسميات بين طياتها قناعاتٍ واعتقاداتٍ شخصيةٍ واعية كما نراها في مقالة[20] للكاتب الصحفي حسن حنفي الذي يقول إنّ: "النخبة طوال تاريخها تعيش على مساندة الأجنبي، والتعالي على أهل البلاد من العمال والفلاحين والطبقات الدنيا بل والمتوسطة. تتكلم اللغات الأجنبية، الفرنسية والإنجليزية. [...]. هي نخبة من رجال الأعمال، وطبقة من الأغنياء الجدد لا هم لها إلا الربح السريع عن طريق المضاربة في العقارات، والاتجار بالعملة الأجنبية في السوق السوداء، وتهريب الأموال وقروض البنوك بلا ضمانات، والرشوة والفساد كوسيلة للتحايل على القانون، وقيم الاستهلاك ومظاهر البذخ والترف في القصور الجديدة وعلى شواطئ البحار". حيث نرى أنّ الإدراك الفردي للكاتب في تحليله الأخلاقي لأبناء الطبقات الغنية التي تعاملت بالثقافة الغربية يُعزى إلى مساندة الأجنبي لهم، مطلقاً على مقالته عنوان "**الاختراق الثقافي**"، ومستبعداً في الوقت نفسه أياً من المسميات التي أشرنا إليها سابقاً، ربما لأنّ الباحث الأمريكي حين أصطلح على تسمية النقل الثقافي بكلمة تثاقف لم يعبر عنها بالمعنى السلبي لعملية النقل بل بُنى المصطلح من الكلمتين اللاتينيتين culture و action. ويعرّف قاموس المورد لغويا[21] كلمة culture على أنّها " تهذيب" أو "حضارة" "أو مرحلة متقدّمة من مراحل التقدّم الحضاري". وعلى الرّغم من أنّ اللفظ قد ورد في القرآن الكريم بعدّة معانٍ إلا أنّه دخل إلى اللغة العربية بالاستخدام الأدبيّ أو الفلسفيّ أو العلميّ المتعارف عليه في الوقت الراهن من خلال ترجمات العديد من الأعمال في العلوم الإنسانية التي نقلت في القرن التاسع عشر عن أعمالٍ أوروبيةٍ مقابل كلمة culture بالإنجليزية و culture بالفرنسية و kultur بالألمانية، لذا يهمنا أنّ نأتي على تعريف هذا المصطلح كما ورد في تعريفات علماءٍ أوروبيين لنقدّم هنا دلالته الحقيقية التي نشأ عليها. فالثقافة كما يقول Quincy Wright هي: "النمو التراكمي للتقنيات، والعادات، والمعتقدات لشعبٍ من الشعوب يعيش في حالة الاتصال المستمر بين أفراده، وينتقل هذا النمو التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الآباء وعبر العمليات التربوية"[22]، ويعرّفها James F. Downs على أنّها: "نظام من الرموز تشترك فيها مجموعة من بني البشر وتنتقل بواسطتهم إلى الأجيال اللاحقة (...)، وتميل كل ثقافةٍ لأن يكون لها منطقها الخاص بها الذي يجعل العناصر المختلفة للثقافة مترابطة ولا يستقل أحدها عن الآخر"[23]. ولا يتعارض هذا التعريف على الإطلاق مع نظرية (تعددية) النظام الأدبي أو نظريات Jakobson: فالرموز هي اللائحة التي يشترك في تأليفها أو ترجمتها مجموعةٌ من البشر ويسعون إلى نقلها كمنتجين أو مؤسسات إلى الأجيال اللاحقة، والتي تعبّر هنا عن المستهلك. أما كلمة action فيعرفها قاموس المورد[24] -ضمن سياق

بحثنا- على أنّها "تأثير" أو"سلوك". وما نرغب من خلال البحث في دلالات الأسماء هو لفت الانتباه إلى أنّ الكلمة تعبّر عن أيدولوجية سلوك مجتمعٍ متطوّر يحاول أن يترك بصمةً من التقدم الحضاري في معالم ثقافةٍ أقل تقدماً وتحضراً.

ومن هنا فإنّ التفسير العلميّ الذي قدّمه العديد من العلماء الأمريكان والأوروبيين لحركة التثاقف –ضمن سياق هذا البحث- كانت تعبر عن ظواهر استعماريةٍ فكريةٍ أو سياسيةٍ أو اقتصاديةٍ مطوّرة، وبالتالي فإنّ على علماء المصطلح العربي إعادة النظر في استخدام مصطلح "التثاقف" الذي يُضفي شرعيّة وإيجابيّة على التداخل الأجنبي في المجتمع العربي. وقد أكّد مجموعة من الباحثين على ضعف الربط بين المفهوم والدلالة في ترجمات لمصطلحات غربية في كتاب "الثقافة الإسلامية: مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها"، قائلين: "إنّنا كنا –في مجال البحث المرتبط بالثقافة- ننقل ونعيد ما يقوم به الباحثون والعلماء الغربيون، وكان ذلك يتم –في الأعم الأغلب- دون نظر دقيق فاحص منا لظروف مجتمعاتنا ومدى ملائمة ما ننقل من بحوث ومفاهيم لحاجات هذه المجتمعات"[25]. لا بل وقد يتجانس معنى التثاقف مع المصطلح اللغوي الوارد في القرآن الكريم حين يقول المولى جلّ وعلى: "فأما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم" (البقرة 191)، بمعنى أن تظفر بهم وتتمكن منهم، وما يسعى إليه صناع وعملاء النقل الثقافي هو الظفر بنقل معتقداتهم ولغاتهم ومفاهيمهم إلى المجتمع العربي.

وهناك فئةٌ أخرى ارتأت أن تطلق على التثاقف تسمية **صراع الحضارات**، وهو تعبير أسهبت النقاش حوله قاعات المؤتمرات في العالم خلال السنوات القليلة الأخيرة. وعلى الرّغم من أنّ مصطلح التثاقف –كما ذكرنا- بُني ليعبر عن اتجاهٍ إيجابي من جانب الثقافة العليا تجاه الثقافة السفلى إلا أنّ مفهوم صراع الثقافات قد وُلد في الغرب للتعبير عن علاقةٍ علويةٍ مع الحضارات الأخرى، في حين أنّ المفهوم العربي ارتأى أن يُطلق عليها حوار الحضارات في محاولة للمماثلة، ربما فكرياً وعلمياً مع الثقافة العظمى.

أما أحدث تطوّرٍ يعبّر في مضمونه عن التثاقف فكان مصطلح **العولمة**، الذي مارس نفوذه عبر تكنولوجيا المعلومات، وبالتحديد من خلال "الإنترنت الذي يمثّل ذلك المجتمع المعلوماتي الجديد، ولكنه مجتمعٌ منغلقٌ على نفسه لا يلبّي إلا رغبات ومصالح النخبة التي تديره وتستخدمه، وهو بالتالي لا ينشر إلا الثقافة والمعلومة التي تسير في إطار ثقافته، وبعبارة أخرى فان مجتمع الإنترنت يسير في اتجاه التعليب الإعلامي المسيّر في اغلبه إلا في بعض الموارد القليلة التي ينفرد فيها أفرادٌ أو جماعاتٌ للتعبير عن آراءهم، ولكنها تبقى صيحةً خافتةً في وسط صحراءٍ شاسعة. هذا الأمر ينعكس علينا عندما نشعر بمدى ضياعنا في ذلك المجتمع المعلوماتي المعقّد، فالإحصاءات تشير إلى أنّ المواقع التي تنتشر على صفحات شبكة الإنترنت يمثل منها 82% من

المـواد باللغـة الإنجليزيـة، و4% باللغـة الألمانيـة، و1،6% باللغـة اليابانيـة، و1،3% باللغـة الفرنسية، و1% باللغة الأسبانية، والباقي موزّع بين باقي لغات العالم واغلبها لغات أوربية. إنّ ملامح وأوجه المجتمع المعلوماتي يؤكّد أنّ الإعصار الكبير سوف يجتاح الأمم وسوف يستأصل كل أسسه الفكرية والعقائدية والثقافية ويحوّلها إلى قطيعٍ إلكتروني يستهلك ما تنتجه تلك الدول"[26]. وفي تعليقٍ للدكتور صلاح الراشد على إحدى القنوات الفضائية يقول: "حاولت بريطانيا السيطرة على الهند لتحتكر سوق التوابل في القرن التاسع عشر، وفي القرن العشرين سيطرت أمريكا على النفط، وستكون السيطرة في القرن الواحد والعشرين بأيدي صناعة الإعلام والفكر"[27]. غير أنّ Esparza يعارض أيدولوجية المركزية العرقية –وهو مصطلحٌ مرادفٌ للمركزية الثقافيّة الذاتيّة[28] cultural autocentrism- بمفهوم أن يكون "هناك ثقافة شمولية أو إنسان شمولي". ويرى Esparza أنّ الناس تلتقي في مجتمعاتٍ وثقافاتٍ متعددة الأصوات، ولا يمكن أن تُقلّص الثقافة إلى "إنتاجٍ ثقافي"، حيث تتّصف كلّ ثقافةٍ بعاداتٍ، وشعائرٍ، ورؤيةٍ للعالم، ومفهومٍ للمجتمع، ونظرةٍ متباينةٍ لما هو مقدس، وخصوصية النظرة لكلّ ثقافةٍ في فهم العلاقة بين الإنسان والعالم، وأيّة محاولةٍ لتحويل الثقافات إلى متجانسة أو السعي إلى تقليصها لتصبح "نموذجاً شمولياً" يتناقض مع الطبيعة البشرية التي تؤكد على التنوع الثقافي[29].

وكما أحلّت الهيمنة التكنولوجية الأمريكية والفرنسية وغيرها العديد من مفرداتها في حركةٍ لاستبدال أو إبادة نظيرها العربي، فإن كلمة تثاقفٍ تتعرض لعملية تثاقفٍ عالميةٍ وعربيةٍ تحاول أن تستبدل هذا المصطلح بمصطلحاتٍ جماعيةٍ وفرديةٍ جديدةٍ تعبّر عن التطور الفكريّ والإدراك الجماعيّ والفرديّ لهذه المجتمعات. فالمصطلحات كانت على الدوام مؤشراً يدلّ على تقدّم العلم في الحقل المدروس. ويضع العالم والباحث مصطلحاً جديداً لمواجهة مشكلةٍ أو ظاهرةٍ جديدةٍ ليغطي النقص الذي يجده في قائمة المصطلحات السابقة له، ساعياً إلى حلّ المشكلة أو التعبير عن الظاهرة، لتكون النتيجة هي التقدم في المعرفة العلمية. وكما هو متعارف عليه فإنّه كلّما تقدم علمٌ ما كثرت مصطلحاته، وأنّه كلّما كثرت مصطلحات علمٍ ما دلّ ذلك على تقدمه[30].

2.2.كيف تطبق نظرية (تعددية) النظام الأدبي في دراسة التثاقف

رأينا أنّ حركة التثاقف قد شغلت المفكرين في العالم وبرزت كحركةٍ ذات نفوذٍ لا يستهان به، إلا أنّه "يمكن القول –كما يرى Even-Zohar - أنّ الأعمال التي أجريت في العالم عامّةً تتعاطى مع عددٍ كبير من الحالات الخاصة التي تّم إنتاجها، ولكن لسوء الحظ لم يؤدّي ذلك إلى ولادة معرفةٍ عامةٍ تتجاوز التفاصيل التي طرحتها"[31]، ونضيف إلى ذلك أنّ الأعمال المقدمة في هذه المجال وعلى هذا المستوى ضمن السياق العربي لم نتوصل إلى العثور من خلالها على تلك التي نطمح إلى دراستها وإيجاد تعميماتٍ شاملةٍ لها. وفي مجمل دراستنا للأعمال التي قُدّمت في

الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1918 حتى عام 2003 من خلال الدّراسة الشاملة[32] التي أجراها الباحث الأمريكي F. W. Rudmin على 127 عملًا في مجال التثاقف نرى أنّ الدراسات التي أجريت على هذه الظاهرة تمّ معظمها على أيدي علماء نفسٍ وأنثروبولوجيا يشكّل الأمريكان منهم الغالبية العظمى، في حين أنّ الباحثين من مناطق أخرى مثل فرنسا، واسكندنافيا، وبولندا، والصين، واليابان، وبريطانيا، والمكسيك، وأستراليا، وأستونيا، وأوكرانيا يشكّلون أقليّةً ركّزت غالبيتها على دراسة أنواع التثاقف وعلى دراسة ثقافة المهاجرين والأقليات في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبعض الدول الغربية، والقليل منها قام بدراسة التداخل اللغويّ للناطقين بأكثر من لغةٍ في هذه المناطق.

وأودى بنا استعراض مواضيع في التثاقف داخل العالم العربي –تحت جميع المسميات التي أشرنا إليها- إلى أن نشهد تركيزاً في الحديث عنها عبر المقالات المتفرقة في الصحف والمجلات وعلى صفحات الإنترنت، في حين أنّ الأبحاث التي نُشرت باللغة العربية والتي وصلنا إليها تُعد قلّةً قياساً مع ما كُتب عنها في اللغات الأجنبية، ونرى أنّ معظمها يتمحور حول مواضيع[33] الشؤون السياسية، والقضية الفلسطينية والعراقية، والاندماج الثقافي للإثنيات العرقية والدينية في دول الصراع العربي، والعنصرية، والتحول الديمقراطي، والتنمية الاجتماعية الشاملة، وتنمية العلاقات الاقتصادية، والعولمة، وهيمنة التكنولوجيا المعلوماتية الأجنبية وغيرها، وهي نماذج نستبعد أن تتجه نوايا المنتِج فيها إلى تقديم دراسةٍ في ظواهر حركةٍ ثقافيةٍ لغوية، بل من البديهي أن نحكم على توجهها نحو الجدل السياسي والاقتصادي.

ويؤكّد على شمولية هذه المواضيع الملاحظات التي قدّمها السيد جيمس دبليو راولي المنسّق المقيم لأنشطة الأمم المتحدة في اليمن، تحت عنوان "العولمة والحوار بين الثقافات والحضارات"، وذلك بمناسبة الندوة الدولية حول "الحوار بين الثقافات والحضارات"، التي أقيمت في 10-11 فبراير 2004، في العاصمة اليمنية صنعاء، حيث أكّد على أنّ: "التغيرات في العالم العربي تشمل التوجه نحو الديمقراطية والتحسن الملحوظ في وضع حقوق الإنسان، بما في ذلك حقوق المرأة"[34]. ونشهد من خلال المواضيع السابقة مجموعة من اللوائح التي تطور وتبرّر التداخل الأجنبي الذي يقوم على مفهوم التنمية البشرية والتي أشرنا إليها في معرض الحديث عن بدايات ظهور دراسات التثاقف. ويعتبر عام 2004 هو العام الذي احتفل فيه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بالذكرى السنوية الخامسة عشر على تدشين أوّل تقريرٍ له حول التنمية البشرية والذي يركّز على موضوع "بناء مجتمعاتٍ شموليةٍ من أجل تحقيق التنميةٍ البشرية في عالمٍ متعدّد الثقافات"، وهي بالتأكيد النتيجة التي أدّت إلى بروز ظاهرة التثاقف في العالم العربي ضمن الخطط التثاقفيّة التي وضعتها دول التداخل قبل أكثر من قرن. كما أنّها مواضيعُ تصلح لأن تشكل لوائح لدراسة العلاقات ضمن السياق الاقتصادي والسياسي للعالم العربي، ولا تتجه اتجاهاً مباشراً إلى

دراسة الجوانب اللغويّة والأدبيّة ودراسة ظواهر انتشارها، بل تخدم بشكلٍ عام في دراسة السوق والمنتِج، كما تخدم في تقديم لوائح لبعض العناصر اللغويّة التي وُلدت نتيجةً للتحولات الاقتصادية والسياسية مثل الاستعمال المتداول لمصطلح ديمقراطية وتكنولوجيا وإنترنت و إثنيات وغيرها.

نرى مما سبق أنّ من المهمّ أن يُعنى الباحث العربي بالتوسع في دراسة حركة التثاقف داخل وخارج العالم العربي وأن يشترك في طرح التساؤلات العامة لدراسة ظواهر وقوانين التثاقف داخل العالم العربي من جانب، وفي دراسة الجاليات العربية المنخرطة في المجتمعات الغربية، من جانبٍ آخر، ومن التساؤلات التي نوصي بالاهتمام بطرحها والإجابة عنها: لماذا حصل التثاقف في الحالة المدروسة؟ ما السبب في بروزها حالةً تستحق الدراسة؟ كيف يعمل تداخل العناصر داخل الثقافة المستقبِلة؟ متى وتحت إيّ من الظروف والشروط سيستمرّ أو يبطل تأثيرها؟ وهي تساؤلات تسوقنا في النهاية إلى جدلية داخل الدراسات الوظيفية الديناميكية Dynamic Functionalism، دون أن نفصلها عن الدّراسات التاريخيّة الأدبيّة كونها جزءاً لا يتجزأ من الوجود التاريخي لأيّ نظامٍ ثقافي. إلا أنّه يجب التأكيد على أنّ ما يجب أن يُعنى به الباحث هو البحث عن النشاطات والظواهر المؤدّية لهذه الحركة الأدبية من خلال تطبيق نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ، وسوف يُلاحَظ وجود ظواهرٍ تؤدي إلى نتائج متباينة، حيث يبرز واضحاً عبر التاريخ أنّ الثقافة المستقلّة ذاتياً تحاول مقاومة الثقافة الدخيلة، إلا أنّ التأثير والتواصل المستمرين في هذا الاتصال يُظهر مع الزمن قبولاً لبعض العناصر في حين أنّها تستبعد عناصر أخرى، من هنا يأتي دور العامل الزمني والاستمرارية كعوامل أساسيةٍ في حركة الظواهر الاتصاليّة في عملية التثاقف.

ولا يجب الاكتفاء بإصدار اللوائح لأنّها لن تعتبر المساهم الوحيد في عملية النقل الثقافي بل يجب التأكيد على الدور والوظيفة التي تلعبها ضمن النظام المستقبِل، وعلى المؤسسة الأدبية الراعية لعملية النقل، وعلى طبيعة النّقد الأدبيّ، وعلى أحادية النقل أو ثنائيته، وعلى العلاقات المبنيّة داخل الشبكة البينيّة للأنظمة اللغويّة، على أن يُقدّم داخل البحث العوامل المختلفة التي أحدثت هذه الحركة، محدّداً دور كل عنصر بالعلاقة التي تُعرّفه مقابل كل عنصرٍ آخر، ساعياً إلى تفسير كيف تعمل هذه العناصر في المجتمع العربّي في حالاتٍ حقيقيةٍ ومحددة.

وتخدم نظريات (تعددية) النظام الأدبيّ الباحث في مجال التثاقف في خدمة دراسة القنوات الأساسية في التحول اللغوي ضمن عملية التثاقف، ويجب ملاحظة أنّ قنوات النقل قد تكون مباشرةً أو غير مباشرة، فالمباشرة أن يتوفر العنصر المنقول للثقافة المستقبلة من خلال العملاء المحركين للظاهرة دون وسيط، مثل ذلك أن نرى انتشار الأعمال المؤلفة باللغة الإنجليزية في الأسواق والمكتبات العالمية أو عبر الانترنت. أما القنوات غير المباشرة فيكون عبر وسيط للنقل، مثل ترجمة الأعمال إلى اللغة المستقبِلة. وقد يتدخل طرفٌ ثالث للنقل، مثل عملية ترجمة الكتاب

من اللغة الروسية إلى الإنجليزية ومنها إلى العربية، إلا أنّه وفي النهاية يتمّ انتخاب العناصر وتصفيتها من خلال قوانين وأهداف المؤسسة الناقلة. وقد تضغط الثقافة المستقبلِة على عملية النقل لتكون أقوى بسبب وجود تشابهٍ في أحد الجوانب، مثل ذلك النموذج اللبناني وانتشار الثقافة الفرنسية فيه، والتي يعود تأثيرها إلى الحركات التبشيرية الفرنسية في لبنان التي يعتنق الكثير من أهلها الديانة المسيحية، ويظهر واضحاً في هذا النموذج استهلاك المنتَج اللغوي للنظام المهيمن عبر هذه المؤسسات الدينية.

وننصح الباحثين بدراسة بنية اللوائح العربية بناءً على التصنيفات الأربعة التي قدمها Even-Zohar وهي[35]: المستوى الأول الذي يدرس العناصر المفردة والوحدات الصرفية المنفصلة (lexemes and morphemes)[36]، مثل ذلك العديد من المؤلفات التي تدرس المصطلحات الدخيلة على اللغة العربية من اللغات الشرقية والغربية، وعملية تطوّر أجزاء الكلمة وتكييفها مع قواعد الاشتقاق والنحو. والمستوى الثاني يدرس بنية الجمل عامةً وارتباط كل كلمةٍ مع الأخرى داخل الجملة الواحدة (syntagms)[37]، مثل ذلك ما نقل من تراكيب لغويةٍ وأمثالٍ دخيلةٍ على اللغة العربية. أما المستوى الثالث فإنّه يركّز على نماذج ومجموعاتٍ إنتاجيةٍ بدل أجزاءٍ مفرديةٍ أو جملية، وهي الأكثر تطبيقاً مع النصوص. وحين نأتي على تقديم نماذج تطبيقيةٍ لهذه العلاقة الأخيرة فإنّنا نذكر أنّ دخول الاستعمار الفرنسي والإنجليزي إلى الوطن العربي كان قد سبقه حركة ترويجٍ أدبيةٍ كبرى عبر التأليف والترجمة رسمت فيها المؤسسة الاستعمارية صورةً رجعيةً نتيجةً للهيمنة العثمانية والفكرية الإسلامية، وحاولت معها إبراز التأثير الفكري من خلال إبراز أعمال مفكري وأدباء عهد النهضة العربية، نذكر منهم: طه حسين، محمود تيمور، توفيق الحكيم وغيرهم، والتي انتقلت على أيديهم بعض الأعمال والأجناس الأدبية من الثقافات الأوروبية المتقدمة مثل المسرح والرواية والشعر الحر.

كان هذا في محاولةٍ منا لأن نبرز هنا أن اللوائح التي يمكن إنتاجها من هذه الدراسات قد تتعدّد، فهي تتطرق إلى إصدار لائحةٍ بالأجناس الأدبيّة التي دخلت الثقافة العربيّة، وقد تُبنى اللائحة على الأيدولوجيات الغربية التي دخلت من خلال الأعمال والترجمات الأدبيّة وغير الأدبيّة التي أدخلها علماء عصر النهضة إلى الثقافة العربيّة، وقد تذهب بعض اللوائح إلى دراسة المفردات الدخيلة من الثقافات المهيمنة ومدى اكتساب هذه العناصر للثقافات الدخيلة لموقعٍ مركزي أو محيطي. ونضرب مثالاً على ذلك النظام الثقافي العربي الذي شهد هيمنةً عثمانيةً سياسيةً أكثر منها ثقافيةً لم يتأثر خلالها بتلك الحصيلة اللغويّة للّغة التركية كما تأثّر بها من خلال ظاهرة اتصاله مع الثقافة الإنجليزية والفرنسية ذات الأهداف الاستعمارية الثقافيّة والعسكريّة معاً. وعلى الرّغم من تاريخ حركات المقاومة العربية الطويلة في بعض الدول العربية إلا أنّ هيمنة إحدى هاتين الثقافتين ما زال يشهد تأثيره على عدة أصعدة. بالإضافة إلى أنّ العناصر اللغويّة الفرنسية

ظلّت حتى نهايات الربع الأوّل من القرن العشرين تحتلّ موقعاً مركزياً حتى انفجار عصر التكنولوجيا وفرض الهيمنة الأمريكية على مختلف نواحي الحياة، حيث نرى بعدها أنّ العناصر الفرنسية تنحّت لتحتلّ موقعاً محيطياً في العديد من الدول العربية ليحلّ في موقعها المركزيّ النظام اللغويّ الأمريكي.

3. نتائج وتوصيات

نرى فيما سبق أنّ عملية التثاقف تلتقي مع نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ من خلال تفاعل ثقافتين أو نظامين اجتماعيين لغويين مع بعضهما البعض من خلال الاندماج أو السيطرة والهيمنة، ويغلب على نوع التواصل مع الثقافة العربية أن يكون من خلال الاحتكاك السياسي، وتتمثّل بخضوع ثقافةٍ ضعيفةٍ لأخرى أكثر قوة، تستقبل الثقافة المسيطر عليها من خلال هذا الاتصال بعض العناصر الثقافية أو اللغوية ثمّ تقوم بدورها باستبعاد بعض عناصرها الثقافية أو اللغوية الأصلية. أي أنّنا نشهد حركةً للعناصر من المركزية إلى المحيطية أو من المحيطية إلى المحيطية حسب مبادئ (تعددية) النظام الأدبيّ. ويجدر الإشارة إلى أنّ نظرية (تعددية) النظام الأدبيّ لا تشترط أن يكون الاتصال بين ثقافتين إحداهما أقوى من الأخرى، غير أنّ كثيراً من النماذج التي طُبّقت عليها هذه النظرية تبرز واضحةً في الدّراسات التي أُجريت على نماذج ذات تواصلٍ سياسي أو استعماري أكثر من نماذج ذات مستوىً اتصاليّ موّحد، ذلك أنّ التأثير يبدو واضحاً وجلياً في دراسات الاستعمار والتي يهدف فيها كثيٌر من الباحثين إلى دراسة صورة شعبٍ في خيال شعبٍ أقوى بهدف حصر نوع الصورة المنقولة أو بهدف تشخيصها للبحث عن علاجٍ سياسيٍ واجتماعيٍ وثقافيٍ لظواهر ونتائج تلحق عملية النقل الثقافي.

ويأتي هنا السؤال الذي نطرحه حول حجم الدراسات العربية التي ركّزت على دراسة عوامل إنتاج هذه اللوائح. ونجد أنّ من الواجب علينا أن نحث الباحثين في العالم العربي على طرح هذه الإشكالية في أعمال البحث في دراسة الثقافات في مختلف الميادين، ومنها كان لا بدّ من التقديم لهذه النظرية التي تدرس الإنتاج الثقافيّ وسلوكه ونتائجه وتقوم على إيجاد الروابط الوظيفية القوية التي تربطها بدراسات النقل الثقافي- على اختلاف مواضيعها المطروحة في هذا العمل أو التي لم يسعنا المجال أن نتحدث فيها- فالعملية الأولى تُنتج والثانية تنقل وكلاهما يُدخل عناصر جديدةٍ على مجتمع مستقبل، ممّا يسمح للباحث أن يعمل بحريةٍ في مجال التثاقف مسخّراً نظريات (تعددية) النظام الأدبيّ في بحثه المستقبلي.

Polysystem Theory in Acculturation Studies: Arabic Model

Ahlam Sbaihat, *Dept. of Translation, Al-Isra Private University, Amman, Jordan.*

Abstract

Since the beginning of the 20th century the West has witnessed the foundation of many theories that serve scientists and scholars in the field pf translation. However, the bulk of the theoretical production, known to research institutions and universities in Europe and the States, has been out of reach for Arab scholars. This period was followed by a development in some studies that deal with the functionality of language within cultures, though they have not received much acclaim, on the global or Arab level, in specializing in linguistic variety and function within communities.

The Arab scholars in the field of translation maintains a distance from tackling translation itself and its cultural power as a means of communication on a multilingual earth which may contribute to a significant change in the fields of research and theorizing in the Arab world. Consequently the need arises to conduct a research that will cater for the needs of our scholars to familiarize themselves with more theories to handle in the context of scientific research developing them in a way to suit the Arabic context which has been absent for the last century. The research also aims at establishing a gateway in Arabic literature and translation that presents scholars of humanities with the theory of polysystem on the one side and relating them to the acculturation theories in literature on the other.

This work is concerned with introducing both the theory of polysystem and acculturation theories and describing the terms and concepts of each of them within functional and literary studies. Next, this work develops a relation between the aforementioned theories to present a new literary comparative and critical view showing the lack of interest in these two theories within the interdisciplinary studies.

Moreover, this study will try to add some rules to the study of acculturation within the Arabic model and context, a scientific approach which encourages positioning translation with comparative studies. We would like to confirm that through this research we do not intend to pass new general rules of literary overlapping rather we try to redirect them.

We would also like to point out that studying this theory cannot be restricted to translation as they are theories worthy of attention within the field of interdisciplinary studies because it is considered a phenomenon which inter-relates, in study and application, with many fields of knowledge such as translation, general linguistics, comparative literature, literary criticism, social studies, etc.

قدم البحث في 2005/11/16 وقبل للنشر في 2006/11/8

الهوامش

1- Dimitriu, Ileana, Translation, Diversity and Power: An Introduction. University of Natal. *www.nu.ac.za/currentwriting/intro.doc*

2- For more about this subject See:

- Even-Zohar, Itamar, Polysytem Studies. In *Poetics Today,* V. 11, number 1, 1990, pp. 1-253.
- Even-Zohar, Itamar, The position of Translated Literature within the Literary System. In *Poetics Today,* V. 11, number 1, 1990, 45-51. *http://members.tripod.com/itamarez/ps/pos_trli.htm*
- Dimic, M. V., etal., Teoría de Los polisistemas. (Estudio Introductoria, Compilación de textos y bibliografía por Montserrat Iglesias Santos), Arco/Libro S. L., Madrid, (Without Date).
- Iglesias Santos, Montserrat, El sistema Literario. Teoría Empírica y Teoría de los polisistemas. In *Avances en Teorías de la Literatura, Estética, Empírica y Teoría de los Polisistemas*. (Compilador Darío Villanueva), Universidad de Santiago de Compostela, 1994, pp. 309 and following.

3- نشر Even-Zohar أبحاثه باللغة الإنجليزية وترجمت له كثير من الأعمال إلى اللغة الإسبانية والبرتغالية واللغات المحلية في إسبانيا واللغات الاسكندنافية واللغة العبرية.

4- Sbaihat, Ahlam, Imagenes Occidentales del Oriente Medio a través de las Traducciones del Árabe al Francés en la Época del Protectorado. Tesis Doctoral inédita, Universidad Complutense de Madrid, Madrid. 2002, p. 28.

5- Bloom, H., etal. , El canon literario. (Compilación de textos y bibliografía Enric Sullà), Arco/Libros S. L., Madrid, 1998, p. 37-112.

6- See Even-Zohar, Polysytem Studies, Op. Cit.

7- "In Jakobson's own terms, Producer (Addresser/Addressee), Consumer (Writer, Reader), Product (Message), Market (Contact/Channel), Institution (Context), Repertoire (Code). There is of course no one-to-one correspondence between Jakob- son's notions and my suggested "replacements," because Jakobson's point of departure is the *single* utterance observed from the point of view of its constraints. What he wants

to achieve with his scheme is a presentation "of the constitutive factors in any speech event, in any act of verbal communication", Even-Zohar, Polysystem Studies. Op.Cit. p.49.

http://www.tau.ac.il/~itamarez/works/books/ez-pss1990.pdf

8- Ibid, p. 34.

9- Ibid.

Sbaihat, Op.Cit., pp. 28-33

Santos Iglesias, Op. Cit.

10- Even-Zohar, Polysystem Studies. Op.Cit. Original text was translated from Swedish.

11- Lambert, José, Itamar Even-Zohar's polysystem studies, an interdisciplinary perspective on culture research. P. 2. En *Canadian Review of Comparative Literature/Revue Canadienne de Littérature Comparée*, V. XXIV, n° 1, March 1997, pp. 8-14. *http://www.tau.ac.il/_itamarez/ps/jl_on_ez.htm*

12- Ibid, p. 2 and following.

13- Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English, Oxfrod University Press, 1989.

14- Jowett, B. (Trans.), The dialogues of Plato. 3rd ed., vol 5, Oxford, Oxford University Press,1892. (Original work written in 348 BC.)

15- McGee, W. J., Piratical acculturation. In *American Anthropologist*, August 1898, Vol. 11, 243-249.

16- Bartlett, F. C., Psychology and Primitive Culture. Westport, Conn., Greenwood Press, 1970. (Original work published in 1923.)

17- See Bartlett, Ibid.

18- See Esparza, José Javier, El etnocidio contra los pueblos, mecánica y construcción del neocolonialismo cultural.

http://foster.20megsfree.com/101.htm

19- Ye'or، Bat, Eurabia: The Euro-Arab Axis. Fairleigh Dickinson University Press, 2005.

http://www.nationalreview.com/comment/comment-yeor100902.asp

20- حنفي ، حسن. الاختراق الثقافي. جريدة الدستور الأردنية.

على الانترنت *http://hem.bredband.net/b155908/m271.htm*

21- البعلبكي، منير. قاموس المورد. دار العلم للملايين، بيروت، 1995.

22- نقلا عن كتاب زيادة، معن. معالم على طريق تحديث الفكر العربي. مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد 115، الكويت، 1987، ص 34.

23- Downs, James F., Cultures in Crisis. 2nd. ed., Glencoe Press, Beverly Hills, California, 1971, p. 48.

24- البعلبكي، المرجع السابق.

25- طه السيد، عزت، وآخرون. الثقافة الإسلامية: مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها. الطبعة الخامسة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص 17.

26- معاش، مرتضى. المعلوماتية ثورة معرفية وتحد حضاري جديد.

على الانترنت *http://www.annabaa.org/nba/almalomateya.htm*

27- في رسالة، للدكتور صلاح الراشد على قناة سمارتس واي، بتاريخ 21 أيار 2005.

28- مصطلح عرفه W.G. Summer عام 1906 على أنه: فهم العالم على أن الجماعة التي ينتمي إليها الفرد هي المركز في حين أن الجماعات الأخرى تدور حول محوره.

أنظر Esparza, Op. Cit.

29- Ibid.

30- نقل بتصرف عن طه السيد، الثقافة الإسلامية. مرجع سابق، ص 23.

31- Even-Zohar, Polysystem Studies. Op.Cit.

32- Rudmin, F. W., Catalogue of acculturation constructs: Descriptions of 126 taxonomies, 1918-2003. In W. J. Lonner, D. L. Dinnel, S. A. Hayes, & D. N. Sattler (Eds.). *Online Readings in Psychology and Culture* (Unit 8, Chapter 8), 2003. (*http://www.ac.wwu.edu/~culture/index-cc.htm*), Center for Cross-Cultural Research, Western Washington University, Bellingham, Washington USA.

33- لصعوبة الحصول على مراجع عربية حول التثاقف تم تصفح هذه المواضيع من خلال عدد من المكتبات في الأردن وعبر شبكة الانترنت.

34- See *http://www.undp.org.ye/Arabic_Culture.doc*

35- Even-Zohar, Polysystem Studies. Op.Cit.

37- إدريس، سهيل. **المنهل، قاموس فرنسي-عربي**. الطبعة الخامسة عشرة، دار الآداب، بيروت، 1995.

38- إدريس، المنهل، المرجع السابق نفسه.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

إدريس، سهيل. **المنهل، قاموس فرنسي-عربي**. الطبعة الخامسة عشرة، دار الآداب، بيروت، 1995.

البعلبكي، منير. **قاموس المورد**. دار العلم للملايين، بيروت، 1995.

حنفي ، حسن. **الاختراق الثقافي**. جريدة الدستور الأردنية.

زيادة، معن. معالم على طريق تحديث الفكر العربي. **عالم المعرفة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد 115، الكويت، 1987.

طه السيد، عزت، وآخرون. **الثقافة الإسلامية: مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها**. الطبعة الخامسة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003.

المراجع الأجنبية

Bartlett, F. C., *Psychology and Primitive Culture*. Westport, Conn., Greenwood Press, 1970. (Original work published in 1923.)

Bloom, H., etal. , *El canon literario.* (Compilación de textos y bibliografía Enric Sullà), Arco/Libros S. L., Madrid, 1998.

Dimic, M. V., etal., *Teoría de Los polisistema*s. (Estudio Introductoria, Compilación de textos y bibliografía por Montserrat Iglesias Santos), Arco/Libro S. L., Madrid, (Without Date).

Dimitriu, Ileana, Translation, Diversity and Power: An Introduction. University of Natal. *www.nu.ac.za/currentwriting/intro.doc*

Downs, James F., *Cultures in Crisis.* 2nd. ed., Glencoe Press, Beverly Hills, California, 1971.

Even-Zohar, Itamar, Polysytem Studies. *Poetics Today,* V. 11, number 1, 1990.

Even-Zohar, Itamar, The position of Translated Literature within the Literary System. *Poetics Today,* V. 11, number 1, 1990.

Iglesias Santos, Montserrat, El sistema Literario. Teoría Empírica y Teoría de los polisistemas. *Avances en Teorías de la Literatura, Estética, Empírica y Teoría de los Polisistemas*. (Compilador Darío Villanueva), Universidad de Santiago de Compostela, 1994.

Jowett, B. (Trans.), *The dialogues of Plato*. 3rd ed., vol 5, Oxford, Oxford University Press,1892. (Original work written in 348 BC.)

Lambert, José, Itamar Even-Zohar's polysystem studies, an interdisciplinary perspective on culture research. P. 2. En *Canadian Review of Comparative Literature/Revue Canadienne de Littérature Comparée*, V. XXIV, nº 1, March 1997. *http://www.tau.ac.il/_itamarez/ps/jl_on_ez.htm*

McGee, W. J., Piratical acculturation. *American Anthropologist*, August 1898, Vol. 11.

Sbaihat, Ahlam, *Imagenes Occidentales del Oriente Medio a través de las Traducciones del Árabe al Francés en la Época del Protectorado*. Tesis Doctoral inédita, Universidad Complutense de Madrid, Madrid. 2002.

Ye'or، Bat, *Eurabia: The Euro-Arab Axis.* Fairleigh Dickinson University Press, 2005.